الأثر الإسلامي في شعر تلوكـ جند محروم

د . إبراهيم محمد إبراهيم ([1])

المبحث الأول

تلوكـ جند محروم : حياته وآثاره

تمهيد :

عاش " تلوكـ جند محروم " في الفترة ما بين عامي **1887**م و **1966**م ، وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات الحرجة في تاريخ شبه القارة الهندية كلها ، وعلى جميع المستويات ، فهي فترة ظهور الحركات التحررية التي تدعو إلى التخلص من الاستعمار الذي جثم على صدر البلاد عام **1857**م بعد فشل ثورة التحرير الهندية في العام نفسه ، والتي كانت تهدف إلى القضاء على نفوذ شركة الهند الشرقية ([2]) ، وتدخلها في شئون البلاد .

وهي أيضاً الفترة التي شهدت قيام باكستان واستقلال الهند عام **1947**م ، حيث تأسس حزب المؤتمر " الكنجرس " الهندي عام **1885**م ، وأعلن في منشوره أن يهدف إلى خدمة مصالح أهل الهند جميعاً ، بصرف النظر عن دينهم أو عرقهم ،

---

[1] - رئيس قسم اللغة الأردية – كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر – فرع البنات – القاهرة – مصر

[2] – تأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في الهند عام **1600**م بغرض إقامة علاقات تجارية مع الهند التي ذاع صيت ثرائها آنذاك ، ثم قويت شوكتها في البلاد بفضل الدهاء الإنجليزي الذي اعتمد على زرع بذور الفرقة بين الأمراء المغول ، واستمالة البعض منهم إليها وتأليبه على الحكومة القائمة طالما رأوا فيه ما يحقق أهدافهم ، فإذا استنفذوا هدفهم منه تخلوا عنه ، واستمالوا آخرين مكانه ، وهكذا . وظل نفوذ هذه الشركة يزداد حتى أصبحت القرن التاسع عشر هي المتحكمة في مقاليد الأمور في الهند ، إلى أن ثار أهل الهند على الوجود الإنجليزي كله عام **1857**م في ثورة عارمة بقيادة آخر السلاطين المغول (بهادر شاه ظفر) ، ولكن الإنجليز تمكنوا من سحق الثورة ، واحتلال البلاد ، والقبض على السلطان المغولي وأبنائه ، فقتلوا أبناءه ، ونفوه إلى (رنكون) التي بقي بها حتى وفاته عام **1862**م .

ولكن ما لبث أن غلب الطابع الهندوسي على الحزب ، فتجاهل مصالح المسلمين ، وركز اهتمامه على تحقيق أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية والعلمية للهندوس ، على اعتبار أن هؤلاء هم أهل البلاد الحقيقيين ، وهم الأغلبية الكبرى فيها ، وهم بذلك المنوط بهم تولي مقاليد الحكم في البلاد حالما يرحل الإنجليز عنها طبقاً للمبادئ الديموقراطية التي جاء بها الإنجليز إلى البلاد " الحكم للأغلبية " . وعندئذ رأى المسلمون أنهم الطرف الخاسر ، وأن عليهم أن يعملوا على الحفاظ على مصالحهم بأنفسهم ، فأسسوا في عام **1906**م حزب الرابطة الإسلامية " مسلم ليك " الذي تولى أمر الحفاظ على مصالح المسلمين في شبه القارة الهندية ، وكافح المسلمون تحت راية هذا الحزب كفاحاً مريراً بقيادة " محمد علي جناح " في سبيل جلاء الإنجليز عن البلاد ، وقيام وطن مستقل للمسلمين فيها ، إلى أن تحقق لهم ما أرادوا في الرابع عشر من أغسطس عام **1947**م بقيام دولة باكستان الإسلامية ، واستقلت الهند في الخامس عشر من الشهر نفسه .وفي هذه الفترة أيضاً ، أي في الربع الأول من القرن العشرين ظهر نوع ما من الوحدة بين طوائف الهند المختلفة ، مسلمين وغير مسلمين ، بهدف التخلص من الفروق المصطنعة بين الناس اعتماداً على العرق والجنس والقبيلة وغيرها ، وذلك في ظل حركات سياسية واجتماعية اتفق عليها المسلمون والهندوس على السواء مثل " حركة مقاطعة البضائع الأجنبية : سوديشى تحريك " التي دعت إلى مقاطعة كل ما هو غير هندي ، وتبني المنتجات الهندية والإقبال عليها ([1]) ، و " حركة الخلافة : تحريك خلافت " التي استمرت من عام **1919**م وحتى عام **1924**م ، ودعت إلى مساندة الخلافة العثمانية في تركيا ضد الإنجليز ، وبذل أهل الهند تحت ظل هذه الحركة جهوداً وتضحيات كبيرة لمساعدة تركيا ، سواء في شكل جمع تبرعات مادية وعينية ، أو إرسال الوفود الطبية إلى تركيا لتقديم الخدمات الطبية

---

[1] – د / جعفر حسين – هندوستاني سماجيات – ص **153** – نئي دهلي – الهند **1989**م . وانظر كذلك : دكتورة زينت الله جاويد – تلوك جند محروم – ص **27** – نئي دهلي – الهند **1997**م .

لاهلها [1] . وقد أدى كل هذا إلى تقوية الاتجاه إلى الوحدة المبنية على وحدة الوطن والأرض . ولكن الإنجليز استطاعوا بما عرف عنهم من مكر وخداع سياسي أن يزرعوا بذور الفتنة بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الدينية في البلاد ، فنشبت بينهم صراعات دامية راح ضحيتها آلاف لا تحصى ، سواء من المسلمين أو من غيرهم ، ولم تنته هذه الصراعات إلا بقيام باكستان عام 1947م ، وإن كانت قد خلّفت وراءها مشاكل وقضايا جرت البلدين " باكستان والهند " إلى حروب لم تتوقف رحاها عن الدوران حتى اليوم . وقد عاش " تلوك جند محروم " كل هذه الأحداث وتأثر بها .

[illegible] على المستوى الأدبي ، والشعر منه بخاصة،فإن الفترة التي عاشها " تلوك جند محروم " تمثل نشأة الشعر الأردي الحديث وتطوره ، بعد أن أتيحت لهذا الأدب فرصة الاحتكاك بالآداب الغربية بصفة عامة ، وبالأدب الإنجليزي بصفة خاصة بعد خضوع الهند للاحتلال البريطاني عام 1857م ، وهو ما دفع الشاعر المعروف " ألطاف حسين حالي " [2] إلى الدعوة لتجديد الشعر الأردي ، والاستفادة من الشعر الغربي ، وقد خلقت هذه الدعوة اتجاهاً عاماً بين الشعراء جعلهم يتجهون إلى ما عرف باسم " الشعر الحر : أزاد نظم " ، وثبّت هذا الصنف الجديد أقدامه في الأدب الأردي ، وإن كان ذلك لم يمنع الشعراء من التمسك بالشعر التقليدي ، فظهر لدينا في الفترة نفسها من عمالقة الشعر التقليدي " العلامة إقبال : متوفى

---

[1] – لمزيد من التفصيل انظر : دكتور / ميم كمال او كي – تحريك خلافت – ترجمه دكتور / نثار احمد آسوار – لاهور – باكستان 1991م .

[2] – احد مجددي الشعر الأردي ، ومن أكبر الدعاة إلى تجديده . احمد ألطاف حسين ، وشخص بـ حالي " ، ولد عام 1837م بمدينة " پاني پت " القريبة من دهلي . وتوفي عام 1914م . وقد ترك لنا حالي بالإضافة إلى ديوانه الشعري مؤلفات أخرى نذكر منها : حيات جاويد – ياد گار غالب – حيات سعدي ، هذا بالإضافة إلى كتابه المعروف " مقدمه شعر وشاعري " وهو [illegible] في بداية أمره مقدمة لديوانه الأردي . لكنه طبع منفصلاً بعدها .

لمزيد من التفصيل انظر . د/ ابراهيم محمد إبراهيم – د / أحمد محمد أحمد – [illegible] والمعاصر – ص 86 – القاهرة 2003م .

19838م " . بـــل إن " تلوكـ جند محروم " موضوع البحث هو الآخـر كان من كبار الذين كتبوا الشعر التقليدي .

تلوكـ جند محروم

مولده :

اسمه " تلوكـ " ، وتخلصه " محروم " . ولد في الأول مـن يوليـو عـام **1887**م في أسرة متوسطة الحال بقرية " كاجران والا " التي كانت تتبـع " ميان والـي " وتقع في الجانب الغربي من نهر السند ، ثم جرفـتها سيـــول النهـــر ، فانتقلت أسرة " محـروم " إلى " ميان والـي " ، وكان عمر " محروم " إذ ذاك خمس سنوات . ووالده هو " بهكت رام ديال " ، وكان رجلاً بسيطاً زاهداً بطبعه ، ويميل إلى خدمة الناس بفطرته ([1]) ، وكان يعمل بالزراعة والتجارة .

طفولته :

عاش " تلوكـ جند محروم " طفولتـه في بيئة ريفية في قريـة " كاجران والا " ، فكان يقضي نهاره في اللعب مع أطفال القريـة مـن المسـلمين بخاصـة ، والاستحمام بإحدى القنوات المتفرعة من نهر السند بالقرب من " عيسى خيل " كما يذكر هو عن نفسه ([2]) . وفي فصل الأمطار كانت القناة تفيض وتغرق القرية كلها في مياههـا ، وتتهدم منازلها الطينية ، ومن هذه القناة كان أهل القرية يشربون المـاء ، ويستخدمونها في الأغراض المعيشية المختلفة . وقد أثرت هذه الطفولة بملابساتها غـير الصحية على " محروم " صحياً ، فأصابته أمراض عديدة منذ صغره ، ومنها تكوّن الحصوات في كليتيه .

تعليمه :

التحـق " تلوكـ جند محروم " بمدرسة " ورنيكلر فاتنل " ببلـدة " عيسى خيل " وهـو في السادسة من العمر ، وأظهر براعة وتفوقاً في تحصيله العلمي ، ولذا حصل على منحة دراسية في الصفين الخامس والثامن ، ولما لم تكن هناك

---

[1] – كامل بهزادي – تلوكـ جند محروم ايكـ مطالعه – ص 11 – نيو دلهي – الهند 1996م

[2] – د / زينت الله جاويد – تلوكـ جند محروم – ص 54 .

مدرسة ثانويـــة في بلدة " عيسى خيل " فقد اضطر للالتحاق بمدرسة " فيكتوريا دايمند جوبلي " العليا ببلدة " بنون " التي تبعد مسافة سبعين ميلاً عن بلدته . وفي عام **1907**م حصل " تلوك جند محروم " على الثانوية ، وبعدها التحق بوظيفة في بلدة " ديره إسماعيل خان " ، وواصل دراسته منتسباً أثناء عمله الوظيفي ، فحصل على الشهادة المتوسطة عام **1913**م ، وشهادة الليسانس عام **1930**م .

زواجه :

تزوج " تلوك جند محروم " للمرة الأولى عام **1910**م ، وكان عمره في ذلك الوقت خمسة وعشرين عاماً تقريباً من أسرة ببلدة " ديره إسماعيل خان " ، وأنجب من زواجه هذا ابنة واحدة هي " وديا " ، والتي ماتت منتحرة في بيت زوجها حين أحرقت نفسها بعد خلافات عائلية في **13** يونيو عام **1935**م تاركة وراءها خمسة أطفال صغاراً . ولم يستمر زواج " محروم " هذا أكثر من خمسة أعوام حيث توفيت زوجته عام **1915**م . وفي عام **1916**م تزوج " محروم " للمرة الثانية ، وأنجب من زواجه هذا ولداً وثلاث بنات ، أما الولد فهو الشاعر والأديب المشهور " جكن ناتهـ آزاد " ([1]) . وأما البنات فهن : " شكنتلا " ، والتي توفيت ولم يتجاوز عمرها عامين ، و " ساوترى " و " كرشنا " .

حياته العملية :

بدأ " محروم " حياته العملية بعد نجاحه في الثانوية ، فالتحق بالتدريس بإحدى مدارس بلدة " عيسى خيل : حالياً في باكستان " ، ولكنه واجه متاعب صحية كثيرة في هذه البلدة بسبب تلوث مياه الشرب فيها ، حتى أصابته حصوات في كليته ظلّ يعالج منها لفترة ، إلى أن اشتدت به الآلام ، فحمل إلى بلدة " بنون "حيث أجرى له الطبيب الإنجليزي" بنيل " عملية جراحية استخرج فيها الحصوات من كليته ، وبعدها بدأ " محروم " يفكر في الرحيل من بلدة " عيسى خيل " إلى مكان آخر تكون مياه الشرب فيه نقية .

---

[1] – ولد عام **1918**م ، ولا يزال حيا يرزق ، وهو أديب وشاعر بارع .

واستطـــاع " محروم " أن ينتقل من وظيفته في التدريس في " عيسى خيل " إلى العمل كناظر للمدرسة المتوسطة ببلدة " كلور كوت " بوساطة " مفتي أحمد سعيد "مفتش المدارس بـ "ميان والي" ، وذلك حين قصّ عليه " محروم " متاعبه الصحية فوافق على نقله . لكن " محروم " لم ينعم براحة في هذه المدرسة نظراً لتعصب أساتذتها – ومعظمهم لم يزد في تعليمه عن الثانوية – ضده وتآمرهم عليه بسبب تشدده في الالتزام باللوائح والقوانين المدرسية ([1]) ، رغم اجتهاده في تطوير المدرسة وإنشاء سكن داخلي للتلاميذ ، ولذا فقد سعى في نقله إلى مدينة " راولبندي " ، خاصة وأن ابنه " جكن ناتهـ آزاد " كان قد التحق بالكلية في راولبندي .

وعمل " محروم " كذلك ناظراً لمدرسة " كنتونمنت بورد " ، ولم يسلم فيها أيضاً من التآمر ضده ، لكنه كان دائماً يجد من يقف إلى جانبه ، وظل في موقعه الوظيفي هذا إلى أن أحيل إلى التقاعد عام **1943**م . وفور إحالته إلى التقاعد عمل كأستاذ للغة الأردية واللغة الفارسية في كلية " كاردن : كالج " بـ " راولبندي " ، حيث قضى بها ثلاث سنوات نعم فيها بالراحة الوظيفية التي ظل محروماً منها طيلة عمره الوظيفي السابق على مدى خمسة وثلاثين عاماً .

هجرته إلى الهند :

وفي عام **1947**م تم تقسيم شبه القارة الهندو باكستانية إلى الهند وباكستان ، وقد سبق هذا التقسيم موجة من الصراع الطائفي الدامي بين المسلمين وغير

---

[1] – بدأت الحكاية عندما ثار تلوك جند محروم أحد مدرسي المدرسة لجمعه النقود من التلاميذ بغرض شراء " بشاورات " للسبورة باعتبار أن هذا مخالف للوائح ، فما كان من المدرس إلاّ أن اتفق مع باقي زملائه ، وقدموا ضده شكاوى كيدية الواحدة تلو الأخرى ، كما اتهموه بتهم ملفقة دبروها له ، لكن هذه الشكاوى لم تؤت ثمارها طالما كان مفتي أحمد سعيد في منصبه كمفتش للمدارس . فلما انتقل مفتي أحمد سعيد إلى مكان آخر تغير الحال ، وتم التحقيق معه ، ومع ذلك لم يثبت شيء ضده ، إلاّ أن هذا كله أثّر في نفسيته . فلم يتحمل مزيداً من الإقامة في " كلور كوت " ، وانتقل إلى مدينة " راولبندي " .

المسلمين ، وبطبيعة الحال كان " تلوك جند محروم " من بين من عانوا من هذا الصراع الطائفي . وبدأ المسلمون في الهند يهاجرون إلى باكستان ، والهندوس والسيخ يهاجرون من باكستان إلى الهند في ظل ظروف قاسية لا تضمن لأي من المهاجرين من الطرفين وصوله حياً إلى حيث يولي وجهه . وكان على " تلوك جند محروم[1] أن يهاجر إلى الهند عن طريق مدينة " لاهور " ، ومنها إلى مدينة "امرتسر" ، ومنها إلى مدينه " جالندهر "،ثم إلى "دهلي" حيث سبقه ابنه" جكن ناتهـ آزاد " إليها وقد ساعده في تأمين رحلته من مدينة " راولبندي " الى مدينة " لاهور " رجل مسلم يدعى " عبد الحميد " . ثم وصل بعد ذلك إلى مدينة " امرتسر " ، ومنها الى مدينة " جالندهر " بصعوبة شديدة ، ومن هناك كتب لابنه " آزاد " في مدينة " دهلي " خطاباً يقول فيه : " وصلت إلى جالندهر . ولا أرى طريقة أصل بها إلى دهلي ، فالفوضى والبؤس في كل مكان ، وسأستعين هنا أيضا بأحد المسلمين " ([1]) . وفي نهاية الأمر استطاع الوصول الى " دهلى " ، وهناك عينه " لاله ديش بندهو كبتا " في جريدة " تيج " ، وظل يعمل بها لفترة ، ثم انتقل للعمل محاضراً بكلية المعسكر بجامعة البنجاب " بنجاب يونيورستي كيمب كالج " حتى تقاعد منها عام 1958م ([2]) .

وفاته :

عاش " تلوك جند محروم " حياة قاسية لم ينعم فيها براحة مادية أو صحية ، فقد كانت أسرته تمتلك بضعة أفدنة من الأرض الزراعية ، وبعض الأعمال التجارية ، لكن سيول نهر السند أغرقت قريته وهو صغيراً ، وأغرقت معها ما تمتلكه الأسرة من أرض ، فرحل إلى قرية " عيسى خيل " وهو في الخامسة من العمر ، وهناك واجه المتاعب الناجمة عن تلوث مياه الشرب التي كان نساء القرية يجلبنها من إحدى قنوات نهر السند ، فعانى من حصوات الكلى التي ظل يعالج منها لفترة ليست

---

[1] – د / رينت الله جاويد – تلوك جند محروم – ص 66 .

[2] – مالك رام – افكار محروم – ص 131 – نيو دهلي – الهند 1997م .

بسيطة ، ثم أصابته أمراض أخرى نتيجة انخراطه مع باقي أطفال القرية في اللعب في مياه الترعة الملوثة ، ولازمته هذه الأمراض حتى آخر عمره ، هذا بالإضافة إلى ما لحقه من متاعب نفسية نتيجة الصراعات التي واجهها خلال فترة عمله في مدرسة " كلور كوت " حين اتهمه بعض المدرسين بتعصبه ضد المدرسين والتلاميذ المسلمين حتى وصل الأمر إلى أن أحيل إلى التحقيق وإن لم يثبت تورطه في شيء بشهادة أولياء أمور التلاميذ المسلمين الذين أنشأ من أجلهم دار إقامة داخلية توفر عليهم متاعب الانتقال من قراهم البعيدة إلى المدرسة الوحيدة في بلدة " كلور كوت " ، والتي كان سكانها من الهندوس ، ثم معاناته كذلك في مدينة " راولبندي " – بعد أن انتقل إليها – من أحد أعضاء المدرسة التي كان يعمل ناظراً لها ويدعى " محمد رفيع " ، والذي عمل على إخراجه من المدرسة ، لكنه ظل في مأمن من مؤامراته بمعاونة عضو بارز آخر هو المرحوم " محمد جان " المحامي ، والذي عمل قاضياً في المحكمة العليا لباكستان الغربية فيما بعد ، ولم يذق " محروم " طعم الراحة إلاّ بعد أن توفي " محمد رفيع " هذا . أضف إلى ذلك ما حدث من تحقيقات بسبب بعض القصائد والمنظومات التي كان ينشرها في وقتها ، وكان البوليس السري يرصد ما يكتب ، رغم أنه كان ينشر شعره بدون اسم ، إلى أن نشر منظومة طويلة باسمه عام **1929**م بلاهور كتبها في وفاة " لاله لاجبت رائ " الذي كان معارضاً لحزب " الكنجرس " ([1]) ، وكان قاضي التحقيقات في هذه القضية هو " رائ بهادر رادها كرشن " ، وكانت تهمة التمرد ضد الحكومة ثابتة في حق " تلوك جند محروم " نظراً لتوافر الأدلة في شكل صور من الخطابات والمنظومات التي كان يرسلها إلى الجرائد والمجلات ، هذا بالإضافة إلى المنظومة المنشورة باسمه عام **1929**م ، وكاد " تلوك جند محروم " يفقد وظيفته ويزجّ به في السجن ، لولا تعاطف " رائ بهادر رادها كرشن " معه حيث

---

[1] – حزب الكونجرس ، أو الحزب الوطني هو أول الأحزاب السياسية التي تأسست بالهند بعد وقوعها تحت الاحتلال الإنجليزي ، وكان ذلك عام **1885**م ، وبمجهود خاص من الإنجليزي تي . اس . هيوم .

قال لـــه : " لـــو أن المســـئول في هـــذه التحقيقات مكاني مسلم أو إنجليزي لكنت الآن في السجـــن ، ولكني لم أسلك مثـــل هذا الطـــريق معك ، نظـــراً لاتفاقنـــا في المذهب ، والآن عليك إما أن تنضم إلى الحركة التي يقودها حزب الكونجرس وبكـــل قوة ، وإما أن تبقى في وظيفتك الحكومية " ([1]) .

وكانت لهذه الكلمات أثرها السيئ على نفسية " تلوكـ جند محروم " ، وظل يذكرها باستياء دائم ، مؤكداً أن تسامـــح " رادها كرشن " معه كان مبنيـــاً على التعصب الديني ، نظراً لأن كليهما أتباع مذهب واحد هـــو " الهندوسية " ، وأنه لا يحب مثل هذا التعصب ، وأنه كان يتمنى لو كان هذا التسامح مبنياً على كونه شاعراً مثلاً .

كل هذه الأمور ساهمت في تدهور صحته ، بالإضافة إلى أمراض الشيخوخة التي لاحقته في أواخر عمره حتى ضعف بصـــره ، ولازم الفـــراش ، إلى أن مـــات في السادس من يناير عام 196م ، فرثته الأوساط الأدبية والصحفية ، ووصفت وفاته بـــ " الخسارة الفادحة " ، كما خصصت الإذاعة بعض البرامج لتأبينه والحديث عنه .

شخصيته وثقافته :

نشأ " تلوكـ جند محروم " في بيئة ريفية تميزها البساطة بطبيعة الحـــال ، فانعكس ذلك في شخصيته ، هذا إلى جانب ما ورثه عن أبيه من البساطة والتواضـــع وحب الناس والبعد عن التعصب الديني الذي كان يطل برأسه في كل أنحاء شبه القارة الهندو باكستانية ، ويلقي بظلاله على كل تعاملات الطوائف الدينية المختلفة فيما بينهم ، كما كان يميل إلى العزلة بطبعه ، ولذا وجدناه يلجأ إلى ترك المكان الذي يتحتم عليه فيه الدخول في صراعات ومواجهات عنيفة والرحيل عنه ، ثم إنه كان محتاطاً في طعامه وشرابه غاية الاحتياط ، وهو أمر تولد لديه نتيجة الأمراض التي أصـــابته في طفولتـــه بسبب شرب الماء الملوثة والاستحمـــام فيها ، فكان كما يذكر ابنـــه " جكن ناتهـ آزاد " لا يتناول في الإفطار شيئاً غير كوب من اللبن حتى منعه منه الأطبـــاء بعـــدما

---

[1] – مالكـــ رام – افكار محروم – ص 129 .

أصيب بانتفاخات معوية ، وكان لا يحب الشاي مع اللبن ، وحتى " اللسي " ([1]) ، وهو المشروب الشائع في البلاد لم يكن يقربه . وكان " محروم " يرى بالغ الضرر في قشر الفاكهة ، ويحرص على إزالة هذا القشر والتخلص منه يشكل مبالغ فيه حتى كان يقشر " العنب " !! رغم محاولات أسرته إثناءه عنه وإظهار عدم قبولهم له ، ولكن دون جدوى ([2]) .

ونتيجة لكثرة أمراض " تلوك جند محروم " كثرت أدويته التي كان يحملها معه أينما حل ، بالإضافة إلى بعض الزجاجات التي كان يملؤها بالملح والفلفل الأسود والسكر وغيره مما يحتاجه عند تناول الدواء ، أو كنوع من التداوي . ولم يكن " محروم " يتخلى عن حمل هذه الأدوية حتى أثناء مشاركته في الأمسيات الشعرية التي كانت تعقد من حين لآخر في أماكن متعددة ، فكان يضع بجانبه منضدة صغيرة عليها أدويته ، واشتهر أمر هذه المنضدة إلى درجة أن من كان يريد لقاء " محروم " ولا يعرفه بشكل شخصي ، كان يبحث عن المنضدة حتى يجدها فينتظره بجانبها ، وهو ما حدث ذات مرة – كما يذكر ابنه جكن ناهد آزاد – عندما عقدت إحدى الأمسيات الشعرية في مدينة " لائل بور " فيصل آباد : باكستان حالياً " ، وكان " تلوك جند محروم " من بين المشاركين فيها ، وأراد الشاعر المعروف " قتيل شفائي " لقاءه ، ولم يكن يعرفه شخصياً ، فدار على الحجرات المخصصة لإقامة الشعراء المشاركين في الأمسية حتى وجد المنضدة في إحدى الحجرات فجلس بجانبها ، وصدق حدسه ، إذ كانت الحجرة بالفعل حجرة " تلوك جند محروم " ([3]) .

---

[1] – " اللسي " زبادي مضروب باللبن ، وقد يضاف إليه السكر ، وقد يضاف إليه الملح طبقاً لرغبة من يتناوله ، و " اللسي " هو المشروب الوطني لدى أهل البنجاب .

[2] – كامل بهزادي – تلوك جند محروم ، ايك مطالعه – ص 15 _

[3] – مالك رام – أفكار محروم – ص 134 –

كان " تلوكـ جند محروم " بشوش الوجه ، طويل القامة ، أبيض اللون ، نحيل الجسد ، ذا شوارب كثة ، وكان يحب النظام في حياته ، ويحرص على المشي لمسافات طويلة صباحاً ومساءاً ، وكان مغرماً بلعب الورق " الكوتشينة " ، وكان ماهراً في السباحة التي اكتسبها في طفولته من كثرة الاستحمام في الترع والقنوات .

كما كان " تلوكـ جند محروم " يعشق القراءة والاطلاع ، وظل على دأبه هذا حتى وفاته . وهناك بعض الكتب التي كانت تلازمه دائماً ومنها " ديوان بينل " ، و " ديوان ناصر علي " ، و " رباعيات الخيام " ([1]) ، إلاّ أنه قصر قراءاته في أيامه الأخيرة على الكتب الهندوسية المقدسة .

ظل " تلوكـ جند محروم " نباتياً طيلة عمره – كمعظم الهندوس – وإن تناول اللحم في الفترة الأولى من حياته . ويعترف " تلوكـ جند محروم " بأنه وإن كان هندوسي المذهب ، إلاّ أن الالتزام بأحكام الدين أمر صعب ([2]) ، ومع ذلك فقد كان " محروم " يحرص كل الحرص على البعد عن الخلافات الدينية ، ويبدي احتراماً للأديان كلها ، ويرى أن طهارة النفس هي أهم الأصول التي ينبغي على كل شخص أن يتبناها حتى يستطيع التخلص من الأنانية والتعصب ، وكان لذلك يحرص على مطالعة الكتب المقدسة للأديان المختلفة ([3]) .

كما تميز " محروم " بالأمانة في التعامل مع الناس ، وفي أداء عمله كمدرس في مدرسة أو ناظر لها ، وقد عاد ذلك كله على علاقاته بالناس على اختلاف مذاهبهم بالخير ، وكان له مردود طيب ، وآثار إيجابية تمثلت في مواقف عديدة منها وقوف أولياء أمور الطلاب المسلمين بجانبه وشهادتهم لصالحه حينما أحيل

---

[1] – د / زينت جاويد – تلوكـ جند محروم – ص 77

[2] – المرجع السابق – ص 78 .

[3] – المرجع السابق – ص 79 .

إلى التحقيق بشأن الاتهامات الكاذبة التي وجهها له بعض المدرسين في مدرسة " كلور كوت " التي سبقت الإشارة إليها .

ومع ذلك فقد كانت في شخصية " محروم " بعض الجوانب غير الإيجابية منها تساهله في بعض الأمور ، مثل تأخره في الرد على الخطابات التي كانت تصله .

ولأن " محروم " كان محباً للعزلة بطبعه ، قليل الاختلاط بفطرته ، لذا جاءت قائمة أصدقائه ومعارفه لا تضم أعداداً كبيرة من الناس ، ومن أهم أصدقائه " بياريـ لال شاكر " و " منوهر لال طالب جكوالي " و " منظور حسين منظور " ، وكان الشعر وحب الشعر يجمعهم جميعاً ، كما التقى " محروم " بـ " محمد دين فوق " الذي كان يعقد أمسية شعرية كل شهر بمدينة لاهور ، وقد شارك فيها " محروم " مرتين ، كما التقي " محروم " " العلامة إقبال " ثلاث مرات ، الأولى عام **1913**م ، والثانية عام **1920**م ، والثالثة بعدها ، وكان " الشيخ عبد القادر " و " ديا نرائن نكم " من بين المشاركين معه في الجلسات الأدبية ، وله معهما مراسلات عديدة . ونلمح في قائمة أصدقاء " محروم " الشاعر " جوش ملسياني " ، والسياسي والأديب " لاله لاجبت رائ " ، والذي أراد أن يتخذ منه سكرتيراً له ، لكن ظروف " محروم " العائلية لم تمكنه من ذلك ، ومن أهم أصدقائه كذلك الشاعر " جوش مليح آبادي " .

هذا ولا نستطيع أن نغفل تلك المسحة من الحزن التي كست وجه " محروم " ، وأثرت على نفسيته أشد تأثير بسبب حادثتين مفجعتين مرتا به ، الأولى تتمثل في وفاة زوجته الأولى عام **1915**م تاركة وراءها ابنة صغيرة هي " وديا " ، والثانية تتمثل في انتحار هذه الابنة " وديا " في يوليو من عام **1935**م وهي في الثانية والعشرين من عمرها ، وذلك حين سكبت الكيروسين على جسمها ، وأشعلت في نفسها النار ، فماتت محترقة بسبب بعض المشاكل العائلية بينها وبين أهل زوجها ، وقد رثاها أبوها " تلوك جند محروم " بعدة منظومات منها منظومة بعنوان " في

انتحـــار وديـــا : وديا كى خـود كشى بر " والتي تعد من أصـــدق المراثـــي في اللغة الأردية . يقول " محروم " في هذه المنظومة :

* من ذلك الذي جاء خبر موته محترقاً ، إن اللهب يتراقص على القلب التعس .
* من أسأل ؟ ماذا حدث ؟ أين أذهب ؟ ، أيها القضاء ، أمطرني بمزيد من اللهب .
* آه يا " وديا " ، ما هذا الذي فعلت ؟. لماذا قضيت على نفسك بالنيران ؟!.
* لنن وطئت القدم جمراً ، تألمت منها الروح .
* ولا طاقة لأحد على تحمل " حرارة الشمس ، ولذا يبحث الجميع عن مكان للظل .
* فكيف واتتك فكرة الموت احتراقاً ؟!. كيف رضيت بهذا ؟!.
* لو أنك ضقت بالحياة هكذا ، وساء حالك إلى هذا الحد .
* واستحال قلبك المضطر دماً ..... ماذا أقول يا " وديا " التعيسة .
* لو أنك قررت الانتحار ، فهناك طرق أخرى للانتحار .
* ليت أحداً أحضر لك سماً ، أو أطعمك بنفسه سماً .
* ليت أحداً دلك على النهر ، أو السقف أو المشنقة .
* لكن لم يكن لك أن تشعلي في نفسك النار ، لم يكن هذا يليق بك .
* يا قتيلة خنجر الحزن والألم ، لو أن الحياة صارت محالة أمامك .
* لماذا لم تكتبي لي عن أحوالك ، لماذا لم تفكري في ذلك .
* آه يا روح أبيك . هل محي من قلبك أثر محبتي .
* تركت وراءك أربعة أطفال ينتحبون ، يبكون عليك جميعاً .
* قطعت كل علاقة لك بالدنيا ، وأعطيت ظهرك في الحياة للأمل .
* لماذا ألقيت متاع الحياة بيديك في لهيب النيران .
* هل كان ذلك ذنبي يا فلذة كبدي ، أم نقول أنه فتور من القدر .
* ليتني أبعدتك عن ذلك البيت الذي صار لك بمثابة تنور مشتعل .
* آه ، أولئك الذين ظننتهم " بشراً " ، من أدراني أنهم متوحشون إلى هذا الحد .

وكانت ابنة " محروم " الصغيرة " شكنتلا " من زوجتـــه الثانيـــة قد توفيت قبـــل " وديا " هذه بشهر واحد في يونيو 1935م ، ورثاها بمنظومـــة بعنوان " على مدفـــن طفلـــة صغـــيرة : كم سن بجى كى مدفن بر " قسمها إلى ثلاثـــة أقســـام هي " الصبح الأول " ، و " الصبح الثاني " ، و " الصبح الثالث " وننقل هنا ما قاله في " الصبح الأول " في " نيرنكـ معاني – ص 132 " على سبيل المثال :

* لماذا غضبت منا وأتيت ههنا ، هيا انهضي وعودي معي يا " شكنتلا "
* المكان موحش ، غابة مخيفة . كيف قضيت الليل ههنا يا " شكنتلا " .
* أنت الآن في نوم ثقيل تحت التراب البارد ، والكائنات كلها يقظى يا " شكنتلا "
* اقفزي فرحة من جديد،فمعي أخوك " جكن "،والدموع من عينيه تسيل يا " شكنتلا " .
* جاء أبوك وأخوك ليصطحبانك بآهات ودموع ونحيب يا " شكنتلا " .

صعدت دماء القلب الممزق إلى العيون لما رأت هذا الحجر الثقيل فوقك يا " شكنتلا " .

* بنينا مدفنك في أرض الأشواك هذه،أف،كأن خنجراً يشق الكبد يا " شكنتلا " .

* صار البيت بدونك خراباً ، والجميع يسألون أين هي " شكنتلا " .

* صمتاً يا محروم ، لقد غفت عيناها قليلاً بعد تعب شديد المسكينة " شكنتلا " .

كل هذه الأحداث أثرت على شخصية " محروم " ، وجعلته يميل إلى الحزن والوحدة والعزلة ، هذا إلى جانب أنه كان بفطرته يميل إلى العزلة والبعد عن الناس ، وهو ما عبر عنه ابنه " جكن تاتهـ آزاد " بقوله " لقد سلب انتحار وديا السعادة من حياة محروم إلى الأبد " ([1]) .

آثار محروم :

1 - كلام محروم " الجزء الأول " : كانت أول مجموعة شعرية أصدرها " تلوك جند محروم " بعنوان " كلام محروم " ، وصدر الجزء الأول منها عام 1916م ، وضم الموضوعات الأدبية وموضوعات الطبيعة ، وصدرت الطبعة الثانية لهذه المجموعة عام 1921م .

2 – كلام محروم " الجزء الثاني " : صدر عام 1920م ، وضم منظوماته الوطنية .

3 – كلام محروم " الجزء الثالث " : صدر عام 1923م، وضم المنظومات العشقية .

4 – كنج معاني : صدرت لـ " محروم " مجموعة شعرية بعنوان " كنج معاني " عام 1932م من " لاهور " ، وصدرت الطبعة الثانية منها عام 1957م من " دهلي " ، وصدرت الطبعة الثالثة عام 1995م من " دهلي " أيضاً .

5 – رباعيات محروم : صدرت الطبعة الأولى من " رباعيات محروم " عام 1947م من " لاهور " ، والثانية عام 1954م من " دهلي " ، والثالثة عام 1971م من " دهلي " ، والرابعة عام 1983م من " لاهور " ، والخامسة عام 1997م من " دهلي " .

---

[1] – د / زينت جاويد – تلوك جند محروم – ص 66 .

6 – كـــاروان وطـــن : مجموعـــة شعريـــة وطنيـــة صدرت عام 1960م

7 – نيرنك معاني : صدرت هذه المجموعـــة الشـــعرية عـــام 1960م ، وصدرت الطبعة الثانية منها عام 1964م ، وأما الطبعة الثالثة فقـــد صـــدرت عـــام 1996م .

8 – شعله نوا : صدرت عام 1960م ، وصدرت الطبعة الثانية منها عام 1965م .

9 – بهار طفلي : صدرت هذه المجموعة عام 1960م .

10 – بجون كى دنيا : وهي مجموعة شعرية للأطفال ، وصـــدرت عـــام 1964م ، وقد نال " محروم " جائزة من الحكومة الهندية على هذه المجموعة بلغت قيمتها ألف روبية ([1]) ، وكان مبلغاً كبيراً في زمانه ، وظهرت الطبعة الثانيـــة لهـــذه المجموعة عام 1967م .

المبحث الثاني

شعر تلوكـــ جند محروم ومكانته

شعر محروم :

بدأ " محروم " حياته التعليمية بدراسة اللغة الفارسية واللغة الأردية ، وهو ما كان رائجاً في النظام التعليمي في شبه القارة الهندو باكستانية في تلك الفتـــرة عنـــد المسلمين وغير المسلمين على السواء ، واستطاع إجادة الفارسية ، وكتب بها شعراً أثنى عليه نقاد الأدب ، وأشاروا إلى أن إجادته للفارسية جنبته كثيراً من الأخطاء اللغوية في الشعر الأردي والتي يقع فيها شعراء لا يعرفون الفارسية ، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى تداخل الألفاظ والتراكيب والمحاورات والأمثال الفارسية في اللغة الأردية بشـــكل

---

[1] – الروبية الهندية في عصرنا الحالي تساوي عشرة قروش مصرية تقريباً ، وكذا الروبية الباكستانية

يصعب معه استخدامها الاستخدام الأمثل دون إلمام باللغة الفارسية . ورغم أنه لم تصدر لـ " تلوك جند محروم " مجموعة شعرية مستقلة باللغة الفارسية ، إلا أن أشعاره الفارسية ألحقت بنهايات مجموعاته الشعرية الأردية ، هذا بالإضافة إلى تطعيم أشعاره الأردية بأشعار فارسية من نظمه مثلما فعل في منظومة له بعنوان " الوداع " حيث بدأها بهذا البيت :

- الوداع يا شاطئ النهر الجاري ... الوداع يا فضاء ديار النهر الجاري

وفي منظومة له بعنوان " نامهء منظوم " يبدؤها كالتالي :

- أيها الشفيق العطوف على محروم ... يا من ذكراك حرز لروح محروم .
- يا بلبل روضة المعاني ... يا عارف بدقائق المعرفة ورموزها .
- يا شاعر دهلي النديّ

يامبعث فخر دهلي ودلالها ([1]) .

هذا وقد أشار " تلوك جند محروم " في أشعاره الأردية إلى كبار شعراء الفارسية الذين راجت أعمالهم في شبه القارة الهندو باكستانية عند المسلمين وغيرهم على السواء ، فأشار إلى " التبريزى " و " الرومي " و " الجامى " و " والعطار " ، وذلك في منظومة له بعنوان " امت اسلاميه كا ذوق سخن : تذوق الشعر في الأمة الإسلامية " حين قال :

- تسلسل أمطار الجمال التي هي روح مطلع الأنوار ، كله من أصوات " أشعار " التبريزى " و " الرومي " .
- وروح البشر منذ الأزل تبحث عن ذلك الجمال الذي يزيح عنه الستار " الجامي " و " العطار " . ([2])

والحقيقة أن " تلوك جند محروم " عاش في عصر يعد عصر تراجع للغة والأدب الفارسي في شبه القارة الهندو باكستانية بعد سيادة دامت ما يقرب من ألف عام هي فترة الحكم الإسلامي على شبه القارة الهندو باكستانية ، ومع ذلك فإن أشعاره الفارسية القليلة – وهو ليس بمسلم – تنم عن تذوق خاص لها ، وتؤكد أن

---

[1] – نيرنكـ معاني – ص 127 –

[2] – محروم – نيرنكـ معاني – ص 48 .

اللغة الفارسية وإن تراجعت سيطرتها كلغة تجلس على عرش الحكم بقوة السلطان ، إلا أنها لا تزال تجد لنفسها بقوة وجمال بيانها مكاناً على عرش قلوب أهل شبه القارة مسلمين وغير مسلمين على السواء ، وهذه بعض أبيات " تلوك جند محروم " الفارسية مع ترجمتها إلى العربية ([1]) ، نلمس فيها قوة المعاني وجمال اللغة :

- **أيها الحبيب كيف أقول لك إن زهرة النرجس ماتت ، وكيف سلب طقس الفلك نضارتها وبهاءها .**
- **بلا شك لقد وصلت إلى هنا وكانت بهية نضرة ، لقد فتحت عيناها واطلعت على حالي ثم أغمضت جفنيها .**

*** *** *** *** ***

- **عهد الشباب يصاحب الإنسان ، لكن الإنسان يصير عجوزاً إذا شاخ فكره.**
- **وتكون المرأة شابة ولو كانت عجوزاً شمطاء ، إذا ظل جمالها موجوداً " يقصد جمال الروح "**

*** *** *** *** ***

- **إذا لم أعرف وأنا شاعر أن الكلام بغير فكر لا يثمر فكراً أبداً .**
- **فان الزمان يعطي جهدي عبثا لبلبلي ، لأني لا أعرف أصما تكون له مهنة الحمار .**

أما شعر " محروم " الأردي فقد جاء في قوالب فنية متنوعة ، وإن جاء أكثرها في قالب النظم . وتناول شعره هذا موضوعات متعددة تغطي معظم مناحي الحياة ، ومن القوالب الفنية التي كتب فيها " محروم " بنجاح منقطع النظير قالب الرباعي الذي يتسم بقدر كبير من الصعوبة ، حيث يكون على الشاعر أن يصب فكرته في أربع شطرات فقط ، الثلاثة الأولى منها تضم تفاصيل الموضوع ، والشطرة الرابعة تضم خلاصة الموضوع ، ونظراً لهذه الصعوبة فإن الذين كتبوا في قالب الرباعي بنجاح قليلون ، ومن أنجح هؤلاء " العلامة محمد إقبال " ، و " تلوك جند محروم " ، لكن الذي يميز " محروم " عن غيره في هذا الخصوص هو أنه الوحيد الذي أخرج ديواناً كاملاً من الرباعيات ، تناولت موضوعات عديدة متنوعة عن الزهد والحكمة والنصيحة واللغة الأردية والشيخوخة والشعر والشعراء ، وعن الدنيا والعواطف

---

[1] – جزيل الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة عفاف السيد زيدان على تفضلها بترجمة هذه الأبيات إلى اللغة العربية .

والفكـــر والمشـــاهدة ، وغيرهـــا مـــن الموضوعات ، بينما تنـــاول في دواوينـــه الأخرى موضوعات كثيرة في الحمد والنعت والمناجاة وبيان مناقب بعض الصـــحابة ، ورموز الديانات في شبه القارة الهندو باكستانية ، وموضوعات من الطبيعة والبيئـــة ، وعن الأعياد والاحتفالات والوطن ، وعن الموت والحياة والعشق والثورة والحزن والألم والسعادة والسرور ، وعن الربيع والحدائق والرياض ، وعن الأصـــدقاء والمعـــارف والراحلين منهم ، وغير ذلك من الموضوعات التي تهم القارئ العادي والمثقف في نفس الوقت .

مكانة محروم :

يعد " تلوك جند محروم " من شعراء اللغة الأردية المتميزين ، وينم إبداعه الشعري عن موهبة متميزة ، ومقدرة لغوية كبيرة ، هذا بالإضافه إلى حبه للغة الأردية وتمسكه بهـــا رغم أنه كان بنجابياً ، ولغته الأم هي اللغة البنجابية ، كما أنـــه لـــيس مسلماً ، وينتمي إلى طائفة دينية لاقت الأردية على متعصبيها وغلاقهـــا كـــثيراً مـــن الاضطهاد ، وتأثره بأمثال هؤلاء من بني جلدته وديانته أمر وارد لا غرابة فيه ، لكنه " تلوك جند محروم " بشخصيته المتوازنة المتواضعة ، وثقافته الصـــحيحة المتنوعـــة ، وتدينه الفطري ، وبغضه للتعصب جعله يتمسك بالأردية عن حق ، باعتبار أنها اللغـــة الكبرى في البلاد ، والتي يفهمها معظم الهنود من المسلمين وغيرهم ، وأنها تســـتحق الرعاية والاهتمام ، وليس الكراهية والنفور .

هذا وقد شهد كبار الكتاب والأدباء والشـــعراء بجمـــال إبـــداع " محروم " الشعـــرى وقوته ، وأثنوا على ما كتب ، كما اعترفت حكومته بفضـــله وإســـهاماته الأدبية ، ومنحته العديد من الجوائز والأوسمة مما سبقت الإشارة إليه ، وإبـــداعات " محروم " في الحقيقة تؤكد هذا الفضل وتبرزه . كتب الشـــاعر الكـــبير " أكبر إلـ آبادي " [1] رباعية امتدح فيها شعر " تلوك جند محروم " فقال :

---

[1] أكبر إله آبادي من كبار شعراء الأردية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، وتوفي عام 1924م .

- إن شعر محروم يستحق الإشادة ، ففيه جمال الألفاظ ووفرة المعاني .
- إنه شعر مفيد ويعلم الحكمة ، ويستحق الذي لاقاه في البلد عن جدارة .

وقد رد " محروم " على رباعية " أكبر إله آبادي " شاكراً إياه برباعية قال فيها :

- لقد أنعم الله عليّ بموهبة الشعر ، واستمد شعري تأثيره من قلبي المضطر .

ويقول " الشيخ عبد القادر " ([1]) عن " تلوك جند محروم " :

" لئن كان صديقي القديم السيد تلوك جند محروم ظل محروما من بعض نعم الدنيا بما يتناسب مع تخلصه ، إلا أنه نال حظاً وافراً في موهبة الشعر وجماله ، كما نال شعره شرف القبول العام بين الناس ، وامتدح شعره كبار الشعراء .... والشيئ الذي أعجبني في شعره كثيراً هو أنه يعلم الحب والتسامح " ([2]) .

ويقول عنه السيد " محمد إقبال " ([3]) :

" إن السيد محروم ليس في حاجة إلى تعريف ، فهو من مشاهير الشعراء في البلاد ، وقد أثنى كل محبي الأدب الأردي على شعره الناضج ، ولغته المؤثرة ... والمستوى الشعري لمجموعة رباعيات محروم مستوى رفيع راق " ([4]) .

ويقول عنه الشاعر " برج موهن دتاتريه كيفي " ([5]) :

" تتسم عقلية محروم بالتوازن ، ومشاعره بالاعتدال " ([6]) .

ويقول عنه " عبد القادر سروري " ([7]) :

---

[1] – الشيخ عبد القادر ، أو السير عبد القادر من كبار أدباء الأردية والمحبين لها ، وهو صاحب مجلة " مخزن " الشهرية التي كانت تصدر منذ عام **1900**م بلاهور ، وهي المجلة التي تبنى فيها الشيخ عبد القادر العلامة محمد إقبال من خلال نشر قصائده ومنظوماته فيها حين توسم فيه شاعراً عظيماً سيكون له تأثير كبير في المستقبل .

[2] – شيخ عبد القادر – مقدمة كنج معاني – ص **12** .

[3] – من كبار أساتذة اللغة الفارسية بالكلية الشرقية بجامعة البنجاب في النصف الأول من القرن العشرين .

[4] – محمد إقبال – مقدمة كنج معاني – ص **13** .

[5] من شعراء الأردية غير المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

[6] – برج موهن دتاتريه كيفي – مقدمة كنج معاني – ص **18** .

[7] – من نقاد الأردية المعروفين في القرن العشرين ، وكان يعمل أستاذاً بقسم اللغة الأردية بالجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن .

" لقد ظل شعر محروم متميزاً بسبب تنوع موضوعاته وقربها من القلوب " .([1])

ولا يزال شعر " تلوك جند محروم " يقرأ بحب وشغف ، ويقبل عليه أبناء الأردية والمتحدثين بها ، إذ أنه بالفعل يحمل بداخله رسالة للتسامح واحترام الآخر وحب الوطن وأبنائه .

المبحث الثالث
الأثر الإسلامي في شعر محروم :

لا نحتاج إلى تأكيد بأن اللغة الأردية ليست لغة مسلمي شبه القارة الهندو باكستانية فقط ، وإنما هي لغة قطاع عريض من أهل تلك البلاد ما بين مسلمين وغير مسلمين ، ولكن هذا لا يمنع من التأكيد على أن هذه اللغة نمت وتطورت في ظل الحكم الإسلامي للبلاد ، وقد ساهم غير المسلمين من الأدباء والشعراء في إثراء هذه اللغة الغنية بإبداعاتهم جنباً إلى جنب مع بني جلدتهم من الأدباء والشعراء المسلمين ، ونحن نؤكد على هذا المعنى دائماً حتى نفوّت على الغلاة والمتعصبين الهندوس وغيرهم من أهل الديانات الأخرى ما يحاولون إشاعته دائماً من أن اللغة الأردية لغة المسلمين الذين احتلوا البلاد لأكثر من ألف عام ، وبالتالي تجب مناهضتها ومحاربتها باعتبارها أثر من آثار هؤلاء المسلمين الدخلاء على شبه القارة ، وقد يقع بعض المسلمين في هذا الفخ ، ويعتقد إن نسبة اللغة الأردية إلى المسلمين فقط يضفي عليها نوعاً من الاحترام والتقديس ، وهو لا يدري أنه بذلك يثبت فكرة خاطئة تضرّ أول ما تضر باللغة الأردية ذاتها ، وتؤصل نوعاً من التفرقة تصيب مخاطرها أول ما تصيب المسلمين في الهند وهم أقلية على كثرتهم العددية .

على أية حال كانت هذه جملة اعتراضية لا بد منها ، ولكننا نخلص منها إلى أن " تلوك جند محروم " لم يكن بدعاً بين أدباء الأردية من غير المسلمين ، فقد

---

[1] – عبد القادر سروري – مقدمة نيرنك معاني – ص 23 .

سبقه أدباء وشعراء كثر فاقت شهرة أعمال بعضهم كثيرين من الأدباء والشعراء المسلمين .

لقد حكم المسلمون – عرباً وغير عرب – شبه القارة الهندو باكستانية ما يزيد على ألف عام (من عام 712م إلى عام 1857م) ، وعاشوا مع أهل البلاد فأثروا فيهم وتأثروا منهم ، خاصة وأن فترة الحكم الإسلامي هذه – باستثناء فترات ضعفه – كانت فترة تقدم وازدهار في جميع مجالات الحياة في البلاد ، وتميزت بقدر كبير من التسامح الديني الذي وصل في بعض الأحيان إلى تضييع لبعض أحكام الإسلام وطمس معالمه ، وهو ما رأيناه عند السلطان المغولي " جلال الدين أكبر " الذي فكر بقدر ما مكنه عقله ، وسمح له به عصره في أن يؤسس لأهل شبه القارة ديناً يجمع أهلها تحت رايته ، بدلاً من تفرقهم في أديان مختلفة، وتناحرهم وصراعهم الذي سوف يضر البلاد حتماً ، فجمع بعضاً من علماء الدين الإسلامي وأهل التصوف وبعضاً من علماء الأديان الأخرى كالهندوسية والبوذية وغيرها ، ووجههم إلى استخراج الأصول والأحكام والأفكار المتقاربة بينها جميعاً ، وتشكيل مذهب جديد أطلق عليه اسم " الدين الأكبري " (١)

ورغم فشل التجربة فشلاً ذريعاً ، إلا أننا حين ندرسها في ظروف عصرها لرأينا مدى رغبة الحكومة الإسلامية إذ ذاك في التواصل مع أهل البلاد والتعايش معهم ، وهي الرغبة النابعة عن حب من هؤلاء الحكام للبلاد وأهلها مما دفعهم إلى التفكير في طريقة تجمع الناس ولا تفرقهم ، وتزرع بينهم الحب والود بدلاً من العداوة والبغضاء ، ورغم وضوح خطأ هذا التفكير في نظرنا الآن ، إذ أن التقريب بين الأديان لا يكون بدمجها وترك بعضها والإبقاء على البعض الآخر ، وإنما يكون بتعميق فكرة احترام الآخر لدى الأطراف كلها مثلما قرر الإسلام " لا إكراه في الدين : البقرة " ، " لكم دينكم ولي دين : الكافرون "، لكننا بالرغم من كل هذا لا ننكر أن هذا التفكير كان مدفوعاً بظروف عصره ، ولا بد أن يدرس في هذا الإطار .

---

١ – نديم شفيق ملك – علامة إقبال كا خطبه إله آباد ص 156 – لاهور – باكستان 1998م

على أية حال أصبح هذا التعايش الذي استمر بين المسلمين وغيرهم في شبه القارة الهندو باكستانية ميراثاً اجتماعياً مثّل أحد مصادر الشعر لدى " تلوك جند محروم " وأهم منابعه عنده ، هذا بالإضافة إلى تجربته الذاتية في أنه كان يعيش في قرية أغلبها من المسلمين ، فقضى فترة طفولته مع أطفالها المسلمين ، وشاركهم لعبهم ولهوهم ، وارتسمت هذه الأحداث على صفحات ذهنه وقبعت في ذاكرته ، ثم دخوله معترك الحياة العملية مع المسلمين كزملاء له في المدارس التي عمل بها ، ومعاناته من بعضهم أحياناً ، ثم مساعدة الكثيرين له في أكثر الأحيان ووقوفهم بجانبه ، حتى أن الذين يسّروا له طريق الهجرة إلى الهند بعد التقسيم عام 1947م كانوا من المسلمين ، وذلك في فترة تعد من أحلك الفترات على الشعبين ، وخاصة المسلمين ، حتى أن أحداً منهم لم يكن في مأمن من أن يقتل أو يحرق في أو وقت من ليل أو نهار ، وقد اعترف " تلوك جند محروم " نفسه في أحد خطاباته لابنه " جكن ناتهـ آزاد " بمساعدة المسلمين له في هذه الظروف الحالكة . هذا وقد كان لطبيعة " تلوك جند محروم " نفسه وشخصيته وثقافته دخل في تأثره بالمسلمين والإسلام ، وهو أنه كان معتدلاً مسالماً بعيدا عن التعصب الديني .

لقد عاش " تلوك جند محروم " فترة تميزت بظهور حركات التحرر من الاستعمار الإنجليزي ، وكان تحرير البلاد هو الشغل الشاغل لطبقات الشعب وطوائفه المختلفة ، وهو ما كان يستدعي إبراز فكرة التسامح واحترام الآخر حتى يصير الناس جميعاً يداً واحدة قادرة على إخراج المستعمر وحماية البلاد ، وهو ما انعكس في شعر " تلوك جند محروم " بعد أن زاده تأصيلاً من قبله العلامة " محمد إقبال : 1873م – 1938م " في شعره ، وتأثر به " محروم " تأكيداً .

على أية حال تأثر " تلوك جند محروم " في شخصيته وشعره بالإسلام والمسلمين من خلال الظروف التي أشرنا إليها سابقاً ، وبلغ هذا التأثر درجة ظن معها بعض المسلمين البسطاء أن " محروم " دخل في الإسلام سراً ، وإن لم يكن هناك ما يؤكده ، وقد ظهر هذا التأثر في أشعار محروم في النقاط التالية :

أ – حمد الله والثناء عليه :

وهو ما يعرف في الشعر الأردي بغرض الـ " حمد " ، والذي يجعل من حمد الله والثناء عليه وبيان قدرته وصفاته وأسمائه ميداناً له ، وهو غرض شعري من حيث المعنى فقط ، وليس له هيئة فنية خاصة به ، وإنما يمكن كتابته في أية هيئة فنية أخرى مثل الغزل والرباعي وغيرهما . وتتطلب الكتابة في هذا الغرض الشعرى ثقافة دينية عالية حتى لا يسيئ الشاعر أدبه مع الله دون أن يدري .

وأشعار الحمد لدى " تلوك جند محروم " مردّها الأول في الحقيقة هو تديّن " محروم " ذاته ، هذا بالإضافة إلى فكره وثقافته وبعده عن التعصب ، ولهذا جاءت أشعاره في الـ " حمد " غير تقليدية في كثير من الأحيان ، وتمس القلوب في أكثر الأحيان ، ومع ذلك فقد ظل العرف الشعري في اللغة الأردية بين شعراء الأردية منذ نشأة الشعر الأردي هو أن يبدأ الديوان بحمد الله تعالى والثناء عليه ، ثم بعض أشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم " نعت " ، وبعض أشعار في بيان مناقب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم . وقد ساد هذا العرف الشعري الذي ربما يكون مأخوذاً عن الشعر الفارسي بين شعراء الأردية مسلمين وغير مسلمين ، وحافظ معظمهم على اتّباعه وحرص عليه ، و " محروم " واحد من هؤلاء الذين طبقوا هذا التقليد الشعري في إبداعاته الشعرية ، ولذا نراه يبدأ ديوانه " نيرنگ معاني " بأشعار في حمد الله تعالى وضع لها عنواناً هو " حمد " يقول فيها :

- يا خالق الصحاري والجبال والفيافي والبحار ، يا مالك الأفلاك والثريا والشموس والأقمار .
- لقد أدهشتني يا مبدع الدنيا مظاهر قدرتك في كل شيئ .
- فآية قدرتك في المخلوقات طاهرة ، سواء كانت من ذوات الأرواح أم الجمادات .
- والنهر الجاري يجري بقدرتك ، والجبل الراسخ يقف بأمرك .
- وكل شيئ ملتزم بأمرك في كل حال ، سواء كان جامداً أم متحركاً أم سائلاً .

- العناصر كلها تعمل على طاعتك ، والناصر كلها منهمكة ليل نهار في خدمتك ([1]) .
- البحر الزخار محدود بين شاطئيه ، وإن لم تحدّه أنت لأغرق الأرض .
- أيها الخالق الأعظم ، لو لم تمنح الريح من قوتك لما استطاعت أن تحرك قشة من مكانها .
- ولو لم تأمر الصواعق بالنزول لظلت بين السحب في اضطراب لا تستطيع نزولاً ([2]) .

ويقول في المنظومة الثانية " شكر الإحسان " :

- زاد إحسانك وكرمك عن حدود البيان ، وتناثرت على لساني كلمات الشكر .
- لو ظل لساني وكل شعرة في جسد تعدّ نعمائك لما امكن لأحد أن يحصى الطافك .
- فيا خالقي وفقني إلى شكر إحسانك .
- أنت أيها الخالق أودعت فطرتي منذ الأزل شرر المحبة .
- وهذا العالم الفاني أسير فضلك ورحمتك ، وروحي تغني حمداً وثناءا بأمرك .
- من حفظني إذ كنت ضعيفا ؟ ، ولم يكن العقل قد لمس بعد آية رحمتك .
- ظل فضلك حارسي في طفولتي ، فشكري قليل وكرمك لا حدّ له .
- لا أستطيع أن أؤدي شكرك .
- ثم كان لطفك اللامحدود عليّ في صباي ، حيث خيالي الواسع واحلامي الذهبية .
- وحين بدت تجليات العقل من خلوتها تولد ذلك النور في عالم الادراك .
- ولمحت عالم الأنوار في كل ذرة .
- ومع تقدم العمر زاد إحسانك ، حين أنعمت عليّ دون سؤال بأحباب أصفياء .
- فحظيت بصحبة المحبين من الناس ، أصحاب الوجوه البشوشة المنيرة .
- وسعد بهم بيتي بكل ما فيه .
- أتوسل إليك أيها الخالق بكل ضعف وعجز أنه كما كانت رحمتك من قبل تشملني .
- أن يبقى ظل رحمتك الآن أيضاً يظللني ، وأن لا يغطي المجاز في عيوني على الحقيقة .
- ولأعيش في الدنيا دون أن تعيش هي فيّ أنا .

---

[1] – هذه هي الترجمة الحرفية للشطرة الثانية من البيت ، والمعنى : والعناصر كلها منهمكة ليل نهار في تنفيذ أوامرك

[2] – تلوكـ حند محروم – نيرنكـ معاني – صـ 27 – 28 – دهلي الهند 1996م .

- وألاّ يصيبني هوس الثروة ولا حسب الشهرة ، وأن أطوي برضاك طريقي إلى المنزل الحقيقي .
- وأن يبقى قلبي بحرقة المحبة كالقمر ، وأن تبقى عيوني دائماً على تجلياتك الكامنة .
- وأن يبقى الهدف الأصلي دائماً أمام أنظاري .

كما بدأ " محروم " ديوانه " كنج معاني " بعدة منظومات في حمد الله والثناء عليه تحت عناوين مختلفة هي : " زمزمهء توحيد : نغمات التوحيد " في اثنين وأربعين بيتاً ، و " ترانهء وحدت : أغنية التوحيد " في سبعة أبيات ، و " تو هى تو هـ : أنت ولا غيرك " في عشرة أبيات ، و " يه كس كـ جلويـ هين ساريـ : تجليات من هذه كلها " في ثمان مقطوعات تضم عشرين بيتاً ، و " خطا كس كى هـ : خطأ من " في ثمان مقطوعات تضم أربعة وعشرين بيتاً ([1]) ، ونقتطف هنا بعضاً من منظومته " أغنية التوحيد " التي يقول فيها :

- ظهورك في كل ذرة ، ونورك في البرق والشرر .
- الثناء عليك في كل مكان ، و ذكرك " على لسان " القريب والبعيد .
- نورك في كل ذرة تراب ، وليس الأمر موقوفاً على الطور .
- وكيف يحتاج إلى الخمر والكأس من حاز قلبه سرورك .
- كم من الأغاني يترنم بها السحر في الهواء ، والطيور جميعاً تسبح بحمدك .
- أين المكان الذي يخلو من تجلياتك ، لا يوجد مكان أنت لست فيه .

**** **** **** ****

- أنت في الناقوس وفي الأذان ، أنت في كل ضجة وصرخة .
- أمواجك ترتفع في نهر " كنكا " ، وأنت الصفاء والنقاء في ماء " زمزم " .
- صوتك في كل قافلة ، وأنت في كل آية ووراء كل هدف
- من له وجود بدونك ، وإن كان " أحد " موجوداً فهو أنت فقط .
- تجلياتك في الدير والحرم ، باختصار أنت في كل مكان
- الجميع يهدفون إلى السجود لك ، فأنت خالق الكل ومعبودهم .

ولعلنا نلمس في الأشعار السابقه ظلالاً واضحة لنظرية " وحدة الوجود " التي تؤكد على أنه " لا موجود إلا الله " ، وهي النظرية التي لقيت رواجاً كبيراً بين أهل

---

[1] – انظر : محروم – كنج معاني – من صفحة 35 إلى صفحة 50

التصوف ، وإن خالفها بعضهم إلى نظرية أخرى هي " وحدة الشهود " ، والتي تقرّ بوجود الله ووجود ما هو غير الله ، مع اختلاف بين الوجودين .

كذلك بدأ " تلوكـ جند محروم " مجموعته في الرباعيات [1] " رباعيات محروم " بفصل جعل عنوانه " حمد ومناجات " تضم إحدى وعشرين رباعية في حمد الله تعالى ومناجاته ، وفيما يلي بعض هذه الرباعيات :

(1)

* اسمك في كل طريق هاد ، واسمك في كل آهة يحل العقد .
* تصورك في السكينة يطمئن القلوب ،وفي الأحزان اسمك يحيلها أفراحاً .

(2)

* اسمك وصفة شفاء في كل ألم ، بل إن اسمك دواء لكل ألم .
* كل شيئ إلى إلى فناء ، لكن اسمك ثروة الخلود [2] .

(3)

* عالم بأكمله ينحني على أعتابك ، هنا تنحني رؤوس الأكابر .
* ولم لا تنحني الرؤوس ، وما قيمة الأرض ، فالسماء تنحني بكل خضوع وخشوع .

(4)

* ذكرك أنت فقط يملأ كل الجهات ، وبقدرتك فقط كل ما في الحياة .
* يصعد هذا النداء دائماً من القلب ، أنه أنت فقط ، في الوجود أنت فقط .

(5)

* الوجود متوقف على كرمك ، ورحمتك سبب ربيع الوجود .
* هذه حكمتك أيها الحكيم المصلق ، لقد صنعت من الذرات قلعة الوجود .

(6)

* أوراق الورود كتاب لا معنى له ، وأجرام الأفلاك جسد لا معنى له .
* تدبّ الروح في هذه الدنيا من اسمك ، وإلاّ فإن هذه الدنيا منظر لا معنى له .

---

[1] – الرباعي من أغراض الشعر الأردي التي انتقلت إليه من الشعر الفارسي ، وله قالب فني خاص به ، وهو عبارة عن أربع شطرات تتفق الشطرة الأولى والثانية والرابعة منها في القافية ، وتختلف الشطرة الثالثة عي القافية عنها ، ويصبّ الشاعر فكرته في الشطرات الثلاث الأولى ، ثم يقدم خلاصة فكرته في الشطرة الرابعة ، ومن أكثر الموضوعات التي تتناسب مع هذا القالب الفني موضوعات الزهد والحكمة والخمريات .

[2] – المعنى مأخوذ من قوله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " . سورة الحمان – آية رقم 27 ، 28 .

(7)

* كيف طاف سحاب الربيع وعاد ، ونزل في أحضان الأرض فأنبت الجوهر .
* من له القدرة على السَحب والأمطار ، إنها رحمتك التي أمطرتها .

(8)

* أنا مجرم آثم فارحمني ، أنا عاجز مذنب فارحمني .
* جئت على أعتابك يا كريم بعيون تذرف الدموع فارحمني .

(9)

* أيها الخالق المنزّه ، أيها الرب الكريم ، حقاً إنك قدير ومتفرّد وقديم .
* أنا ملوّث في غياهب الظلمات ، وأنت نهر عظيم من النور والسرور .

(10)

* نغسل الثوب حين يتّسخ ، وننظف البدن حين يتّسخ .
* أيها الخالق المنزّه ، كيف بغير رحمتك ينظف القلب حين يتّسخ ؟!.

(11)

* نحن أيضاً نؤمن بالجنة والنار ، نحن نؤمن بالمخبر وليس بالمظهر .
* النار ؟. إنها ظلمات البعد عنك . الجنة ؟. إنها أنوار القرب منك .

(12)

* يا من تمنح ضياء الشعور ، يا مانح الذرات ضياء الطور .
* عيوني الحائرة تودّ رؤياك ، يا مانحاً للشمس والقمر النور .

2 – مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

وهو ما يعرف في الشعر الأردي بغرض " النعت " ، وهو غرض معنوي فقط ، وليس له قالب فني أو هيئة فنية معينة تختص به ، وإنما يمكن كتابته في أي قالب شعر ، مثله في ذلك كمثل غرض " الحمد " . وإذا كان غرض " الحمد " يهتم بالحديث عن الله تعالى وبيان صفاته وأسمائه وقدرته ، فإن غرض " النعت " يهتم بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وبيان صفاته وشمائله وسيرته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، ومثلما ينبغي لمن يتصدى للكتابة في غرض " الحمد " من معرفة دينية جيدة حتى لا يسيئ الأدب مع الله تعالى ، ينبغي كذلك لمن يتصدى للكتابة في صنف " النعت " من ثقافة دينية كبيرة ، ومعرفة جيدة بالسيرة النبوية حتى لا يسيئ الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصفه بما هو أقلّ من شأنه ، أو يخرج به صلى الله عليه وسلم عن حدود البشرية ، ويتخطى في وصفه إلى حدود الألوهية . هذا وقد تطور غرض " النعت " الأردي كثيراً على مرّ تاريخه الطويل الذي يبدأ ببداية الشعر الأردي ، حيث

بدأ كصنف " الحمد " باعتباره عرفاً شعرياً درج الشعراء على اتباعه في بداية دواوينهم بعد أن يبدأوها بحمد الله والثناء عليه ، ثم تليها أشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ غرض " النعت " في التطور ، فلم يتوقف عند حدود بيان صفات النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله ومعجزاته . وإنما تعداه إلى مناجاته صلى الله عليه وسلم وبثهموم الأمة الإسلامية إليه فيما أصابها من بعده صلى الله عليه وسلم . ثم التوسل به صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى ليزيح الغمة عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تجلى هذا التطور كأحسن ما يكون عند الشاعر " ألطاف حسين حالي " ، وخاصة في منظومته الشهيرة " مد وجزر إسلام " ، أو كما اشتهرت فيما بعد باسم " مسدس حالي " باعتبارها نظمت في هيئة المسدس . ثم تجلى هذا التطور عند الشاعر العظيم " محمد إقبال " ، ثم في من جاءوا بعده من الشعراء .

أما " تلوك جند محروم " فقد تجلى غرض " النعت " لديه كعرف شعري في بداية دواوينه بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، وهو ما سبق الحديث عنه ، وحرص على ذلك في معظم دواوينه ، ونستطيع أن نلمس فيها قدراً كبيراً من الإخلاص والصدق ، وإن كنا لا نستطيع أن نعزي ذلك إلى ذلك الاستنتاج الساذج بأن " محروم " دخل في الإسلام ، وإنما غالب الظن أن ذلك راجع إلى طبيعة محروم نفسه ، وميله إلى التدين بطبعه ، واحترامه لمشاعر الآخرين وخصوصياتهم ، ثم إلى مقدرة " تلوك جند محروم " الشعرية ، وتمكنه من ناصية البيان الأردي ، وأخيراً إلى سعة اطلاعه وتنوع ثقافته ، ولذلك خصص " محروم " فصلاً كاملاً من ديوانه " نيرنك معانى " بعنوان " جراغ راه : مصباح الطريق " ([1]) بدأه بالحديث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عن استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه ، وعن واقعة كربلاء ، وعن سيرة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وعن تذوّق الأمة الإسلامية للشعر ، ثم تحدث بعد ذلك عن رموز المسيحية والهندوسية والسيخية وغيرها ، ونحن

---

[1] – أضاف محروم تحت هذا العنوان تفصيلاً له هكذا " يعنى بانيان وبزركان مذاهب كى سيرت وتعليم بر نظمين : منظومات عن سيرة حياة مؤسسي الأديان وعظمائها وتعاليمهم " .

هنا نقدم ما كتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث نظم واقعة من وقائع السيرة النبوية في تسع مقطوعات تضم ستاً وثلاثين بيتاً تحت عنوان " سيرت نبوى كى ايك مثال : مثال من السيرة النبوية " ، يقول :

(1)

- يروى أن النبي " صلى الله عليه وسلم " كان يجلس في المسجد ذات يوم ، يشرح مزايا الإنسان المسلم .
- وكان الصحابة " الكرام " ينصتون بتركيز لحديثه الشريف " صلى الله عليه وسلم " ، وتستمتع أرواحهم بكل كلمة لهذا الذي يفخر به الزمان " صلى الله عليه وسلم " .

(2)

- في تلك الأثناء خرجت جنازة يهودي من تلك الناحية ، وكان الصراخ والعويل المتواصل يدوي في الفضاء .
- وكانوا " الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته " يعرفون أن جنازة لغير مسلم ، لأن المسلم لا يعرف الصراخ أو العويل في الجنازات هكذا ([1]) .

(3)

- لكن التألم الإنساني مع ذلك ثار بداخله " صلى الله عليه وسلم " ، وظهرت آثار الحزن على وجهه المنير .
- وحين مرت الجنازة من أمامه صلى الله عليه وسلم وقف من فوره ، وأدى الفرض الذي يكون على الإنسان تجاه الإنسان .

(4)

- فتعجب الصحابة جميعاً وسألوه " صلى الله عليه وسلم " : يا سيدنا ، إننا لم نفهم هذا الذي حدث .
- كان هذا الميت كافراً ومشركاً صراحة ، وروحه تربت في الظلمات يا سيدنا .

(5)

- لماذا وقفت احتراماً له هكذا ، وظهرت علامات الحزن على وجهك .
- لقد كان رجيماً ، وبعيداً تماماً عن معرفة طريق الحق ، وكانت معتقداته الداخلية ظاهرة للعيان .

(6)

- فقال " صلى الله عليه وسلم " : أنا أعرف أنه لم يكن مسلماً ، ولم يكتب له التوفيق في البحث عن الله .

---

[1] – في البيت إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه " ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعاء الجاهلية

- ولكن لا يمكن لأحد أن ينكر أنه كان ايضا مخلوقا من مخلوقات الحالق الكريم .

(7)

- وأنه تربى في كنف رحمته " تعالى " ، وأنه عاش حياته بلطفه " تعالى " .
- وخالقنا وخالقه واحد ، ومالكنا واحد ، فكان من اللازم مواساته ومشاركته أحزانه .

(8)

- دهش الصحابة " الكرام " عندما سمعوا ما قاله " صلى الله عليه وسلم " ، وكيف لا يستوعبون إجابته " صلى الله عليه وسلم " المؤثرة ويقتنعون بها .
- فشكروا الله شكراً جزيلاً قائلين : ما أحسننا حظاً حين قيّض الله لنا هذا القائد المرشد .

(9)

- ذلك القائد المبارك الذي يعطف على العدو والصديق ، ذلك القدوة المبارك الذي تنزّه قلبه عن الأحقاد .
- لا يزال عطر أخلاقه يملأ ربوع العالم عبقا وشذى من مكة المكرمة والمدينة المنورة ([1]) .

أما الواقعة الثانية التي اختارها " تلوكـ جند محروم " من السيرة النبويـة الأخرى وقدمها نظماً فهي واقعة المرأة التي حبست القطة ولم تطعمها ، كما لم تتركها تأكل من خشاش الأرض ، وقال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في النار ([2])

---

[1] – ورد الحديث الشريف في صحيح مسلم – الجزء الأول – ص 381، 382، 383 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1992م . يقول أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة ، فقاما ، فقيل لهما أنها من أهل الأرض (أي جنازة كافرة من أهل تلك الأرض) . فقالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّت به جنازة فقام ، فقيل أنه يهودي . فقال : أليست نفساً ؟. وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله قال : مرّت جنازة ، فقام لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمنا معه ، فقلنا : يا رسول الله إنها يهودية ، فقال : إن الموت فزع ، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا .

[2] – جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً " (صحيح مسلم – جـ 17 و سنن الدارمي – جـ 9 – باب دخلت امرأة النار في هرّة .

، والمنظومة تقع في عشرين بيتـاً تحـت عنوان " بـ زبانون بر رحم : الرحمـة بالحيوان " ، نقدمهـا هنـا كنموذج جيد على تأثر " محروم " بالثقافة الإسلامية ، وتسلل هذه الثقافة إلى أشعاره ، يقول " محروم " :

* كانت هناك عجوز مشهورة في المدينة " المنورة " ، وكان الناس جميعا يعتبرونها سيدة طيبة .
* كانت سيدة على خلق طيب ، وكان حلوة الحديث ، وكانت محببة إلى قلب كل طفل وشاب وشيخ .
* وكانت كل بنات المدينة " المنورة " وأمهاتها يطلبن منها الدعاء لهن .
* ثم شاءت إرادة الله وماتت العجوز ، وحزن عليها كل الناس .
* ورغم أن العجوز قد ثويت في التراب ، إلا أن ذكرها الطيب ظل على كل لسان .
* وكان الجميع على يقين من الله قد غفر لها ، وأنها سعيدة مسرورة في رياض الجنة .
* وذات يوم سأل رجل رسول الله " صلى الله عليه وسلم " أن : يا سيدى ، تلك العجوز المعروفة الشهيرة .
* تلك التي يذكرها الجميع بالخير ، وعاشت حياتها معززة ومحترمة .
* حدثنا عن مصيرها ، وماذا جرى لروحها بعد موتها ([1]) .
* فتبسم رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ولم يقل شيئاً ، فمن ذلك الذي يطلع على أسرار القدر .
* لكن السائل كان مصرّا على سؤاله ، ولم يكن هناك مفر من أن يجيبه الرسول " صلى الله عليه وسلم " .
* فقال " صلى الله عليه وسلم " : لا تسل عن حالة العجوز ، ولا تسل عنما يجري عليها من العذاب
* إنها الآن تواجه العقاب لقاء ما فعلت ، ويمثل أمامها ما ارتكبت من تقصير .
* واندهش السائل مما سمع فقال : وكيف آل حالها إلى هذا السوء .
* فقال الرسول " صلى الله عليه وسلم " ماذا تسأل ؟ . فلتعتبر من مصير المرأة العجوز .
* لقد كانت لديها قطة في الدنيا ، وكانت تحبسها في البيت في جوع وعطش .
* وكانت العجوز تظل وقتاً طويلاً لا تهتم بها ، ولم تكن تعطيها طعاماً وشراباً .
* ونتيجة هذه القسوة على الحيوان أن نزل غضب الله وقهره عليها .

---

[1] – يقصد ماذا جرى لروحها بعد ان ماتت المرأة ، ونلاحظ هنا أن محروم يعتبر أن ما يجري للإنسان بعد موته إنما يكون على روحه فقط ، وهو ما يخالف التصور الإسلامي من أن ما يجري للإنسان بعد القيامة إنما يكون على الإنسان روحاً وجسداً ، والحقيقة أن تصور محروم هنا متأثر بعقيدته الهندوسية من أن الأمر بعد الموت يقتصر على الروح فقط .

* وهذه الرواية معتبرة وصحيحة ، وهي عند أهل القلوب دليل وبرهان ساطع .
* أن الإنسان الذي يظلم الحيوان يكون كرم الله عليه قليلاً .

والحقيقة أن الأشعار التي نظمها " تلوك جند محروم " عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيض احتراماً وتقديراً وإجلالاً ، ورغم أن " محروم " تحدث في شعره عن كثير من الرموز الدينية لأديان وديانات أخرى غير الإسلام ، إلا أننا نلحظ أن حديثه عن النبي " صلى الله عليه وسلم " وعن الرموز الإسلامية والأمة الإسلامية يزيد كثيراً عن حديثه عن شخصيات الأديان والديانات الأخرى بما فيها الديانة " الهندوسية " التي يدين بها " محروم " نفسه ، وذلك كما قلنا سابقاً يعود إلى شخصية " محروم " وثقافته المتنوعة ، وكذلك مقتضى الجيرة وحكم الجوار باعتبار أن " محروم " عاش الجزء الأكبر من حياته منذ مولده عام **1887**م وحتى هجرته إلى الهند بعد التقسيم عام **1947**م .

3 – الكلمات والتراكيب العربية والفارسية :

على الرغم من أن " تلوك جند محروم " لم يكن مسلماً ، ولن يكون مستغرباً أن تصطبغ لغته بالصبغة الهندية البحتة ، وأن تكثر لديه الألفاظ والتراكيب السنسكريتية ، وتقل الألفاظ والتراكيب العربية والفارسية ، وخاصة الألفاظ والتراكيب ذات الدلالة الدينية كما هو الحال عند غيره من أدباء وشعراء الأردية من غير المسلمين ، لكننا على العكس من ذلك نجد أثراً واضحاً للمعجم العربي والفارسي على شعره ، فظهرت الكلمات والتراكيب العربية والفارسية في ثنايا أشعاره بكثرة ، بالرغم من وجود مترادفات لهذه الألفاظ والتراكيب في اللغة الأردية ذاتها ، هذا على افتراض أنه لن يعمد إلى البحث عن مترادفات لها في اللغة السنسكريتية واللغات المحلية الأخرى ، ليتجنب استخدام ألفاظ وتراكيب عربية وفارسية إسلامية ، وهو كشاعر متمكن يستطيع هذا ، لكنه لم يفعل . وبنظرة عابرة على بعض دواوين " محروم " تلفت أنظارنا تراكيب وكلمات مثل :

" خالق دشت وجبل وقلزم وصحرا " – مالک افلاك ومه ومهر وثريا – نقش طرازندهء دنيا – مصروف شب وروز – محو عمل صبح ومسا – خورشيد وقمر – نغمهء مرغان سحر – احسان وكرم – شكر

احسان – رهين فضل ورحمت هستيء نا بائدار – حمد وثنا – عالم ادراک - با صفا احباب – جلوهء مستور – منزل اصلی – صداقت قرين وقف ايثار – شراب محبت – نور حق – ارشادات عالی – حظ روح – آثار رقت – عمر فانی – خدائ ذو الجلال – ذات واحد – رب بيمثال – لا تغير – لا تبدل – لا يزال – تمام اشيائ عالم – رب العالمين – روح بشر – سامعين وعظ – لوث عصيان – حظ فردوس نظر حاصل – ظهور شان رحمت – نقش حقيقت – جلوهء حسن ازل – صفائ قلب عارف – نهايت مبتذل – انوار حقيقت – محو حق – شموليت – ضيافت – الوان نعمت – قائل صدق وصفا – ما حضر – نفس دون – نور وسرور – لطف عام – مرهم شفا – ذكر خير – ايثار ووفا – فيض عام – انتظار صبح صادق – عازم وطن – انفعال – احتشام – اشجار – وحش وطير – صدق وصفا – تقريب سعيد – ايام طرب – مستعد خدمت اقدس – عقبی – صورت مرجعت – صدق وصفا ، مهر ووفا ، جرأت اخلاق ، اخلاص دوام – عيد ميلاد – سمش وقمر – فتح وظفر – عرش عرفان – حق وباطل – ازل وابد – ساحل امن وامان – كشاف اسرار حيات – لغو – مثمر غفلت – سهو غفلت – قعر هلاكت – فيض قدم – اعزاز حيات – نور ارادت – خوف فنا – صل على – قحط الرجال – ليل ونهار – رضائ خالق – نذر فنا ([1]) .

4 – الفكر والفلسفة :

(أ) : نظرته إلى الدين وأهميته في تصوره :

كما ظهر الأثر الإسلامي في فكر " محروم " وفلسفته ونظرته إلى الحياة والموت ، وانعكس ذلك كله في شعره ، وخاصة في رباعياته ، فـ " محروم " على سبيل المثال ينظر إلى الدين على أنه يعلم الناس كيفية الوصول إلى الله تعالى ، ويعرف الإنسان بمقامه الرفيع ، ويرشده ويهديه في الدنا والآخرة ، ويرى " محروم " أن الدين يعود بالخير على الإنسان في الدنيا والآخرة ، ولكن بشرط أن لا يسيئ الإنسان استخدامه ، وألا يوظفه لتحقيق مصالحه الشخصية وأغراضه السياسية ، ويرى

---

[1] – الأمثلة في هذا المجال كثيرة للغاية وتخرج عن الحصر ، وما قدمناه من أمثلة اخترناه كيفما اتفق من ديوان واحد له هو " نيرنگ معانی " .

" محروم " كذلك أن الناس لو التزموا الدين الصحيح لما كان هناك فساد في الأرض وفتنة وتصادم ، لأن الدين يمنع من مثل هذا ولا يدعوا إليه ، فالدين يدعو إلى حسن العمل والصدق والتسامح ، وينهى عن التعصب وضيق الأفق . يقول " محروم " :

- دين أهل الحق في الدنيا واحد ، ومكتب تعليم الوصول إلى الله واحد .
- ما أكثر أسباب التفرقة وإلا فقل " الله " أو " اوم " فالمعنى واحد .

**** ****

- الدين هاد في الدنيا والآخرة ، الدين يمنحنا المقام الرفيع .
- أي خير نأمله في الآخرة من دين كان في الدنيا يؤيد الشر ويحميه .

**** ****

- الدين لا يدعو إلا إلى حسن العمل ، الدين لا يدعو إلى الفتنة والكسل .
- من يمنح الدنيا رسالة الأمان إن كان الدين فيها يدعو إلى الحرب والنزال .

**** ****

- حيث يكون الالتزام بالدين لا نجد أثراً للفتنة .
- وتصبح الأرض جنة خالية من الآلام منزهة عن الأغراض والمصالح .

**** ****

- لماذا يرضى الإنسان بالإلحاد ، ولماذا لايعترف الإنسان بخالق العالم .
- إن لم يك للإنسان غنى عن طلب العون ، فلماذا يبحث إذاً عن الفاني " ويطلبه منه " .

**** ****

- نعترف بذات الإله الطاهرة ، ونتبع أوامر الشيطان .
- ونحن وإن كنا مسلمين وهنادك ، لكننا لا تلتزم بالعقيدة والإيمان .

**** ****

(ب) الأثر الصوفي في فكره :

تأثر " تلوك جند محروم " بالتصوف وأهله ، وانعكس هذا في شعره ، ولذلك نراه يتصور أن جمال الكون ، وتغريد البلابل ، وحرقة قلب زهور الشقائق ، وحيرة النرجس ما هو إلاّ بحث عن الذات الإلهية ، ورغبة في الوصول إليها ، فكل شيئ في الكائنات في نظر " محروم " يبحث عن هذه الذات ، و " محروم " نفسه يبحث عن هذه الذات أيضاً . يقول " محروم " :

- هذا الجمال في محفل الروائح والألوان لمن ؟ . هذا الحديث بين طيور الرياض عمن ؟ .

- وحرقة الحسرة في قلب الشقائق ممن ؟ . وحيرة البحث في زهور النرجس عمن ؟.
- أتظن القطرة حقيقة النهر ، أتظن الذرة علم بسعة الصحراء .
- إنها دلائل محدودة على ذات غير محدودة ، كم يضل عقل الإنسان ويحتار .
- أي شيئ تبحث عنه في الحديقة ؟أي شيئ يجعلك تهيم هكذا قلقاً في الحديقة
- سوف تأسرك أيها البلبل شباك الألوان والروائح في الحديقة .
- لا تظن أن المستور معدوم ، فالنور في مقابل الظلام موجود .
- يا من تنكر ذات الحق افتح عينيك ، إن كنا سنفنى فلا بد أن يكون هناك موجود .
- لماذا أحاطت بك ظلمات الأوهام ؟. لماذا استحالت دنياك إلى عالم من الظلام
- فلتنر قلبك بذكره ، ذلك الذي خلق الشموس والأقمار والنجوم .

والعشق في نظر " محروم " هو الطريق إلى إدراك الله والقرب منه ، وليس العقل الذي يخلق الحيرة في نفس الإنسان ، وهنا نلمح الأهمية التي يعطيها " محروم " للقلب والبصيرة دون العقل والبصر في هذا الخصوص . يقول"محروم":

- هذا السر لا تكشفه العلوم ، طالما لم يكن هناك كرم خاص منه على البصر
- لقد علمت بعد مزيد من التفكير أن الغشاوة تكون على الأعين لا على الحقائق
- كيف يعلم سر الكون بشر ، فالعقل حائر والنتيجة معلومة .
- ورغم اتصافه بكثير من العلوم ، لكنه لا يعرف ماذا بعد ولا ماذا كان .
- كل نفس يسير بأمره ، وهذه الدنيا تعيش بكرمه .
- فمتى يينع غصن الحياة إن لم يينع ويثمر بكرمه .
- هو وإن كان خفياً لكنه منيع الأنوار ، هو مانح الضياء للشموس والأقمار .
- وشمع الحياة مضيئ بأمره ، يطفئه حين يشاء ، فله الاختيار .
- طار العقل والفهم والشعور والإدراك حتى وصلوا إلى ذروة الأفلاك .
- لكنهم لم يعثروا على أثر للهدف ، ولن يدلني عليه يا عشق سواك
- كيف يضل العقل إن سار على طريق مرشد الأزل .
- وكيف ينجيك العقل يا محروم وهو الذي تأسره شباك خداع النفس .

كما نلاحظ أن نظرة " محروم " للدنيا نظرة أقرب إلى النظرة الصوفية ، فهو يرى أن التعلق بالدنيا والأمل فيها يشقي الإنسان ، وأن الاستغناء عنها يغنيه :

- ماذا تملك حتى تفقده ، وتبكي وتنوح حين تخسره .
- إذا لم تكن تملك ذرة في الدهر ، فلماذا يشقيك حزن الخسارة .

ويرى أن " طول " الأمل في الدنيا ينسي الآخرة ، ويصيب الإنسان بالغفلة عن الله ، وأن العمل فقط هو الذي ينفع في الآخرة ، وأن البشر أمام الموت مجرد قشة لا وزن لها . يقول " محروم " :

- لن نصطحب عند الرحيل شيئاً سوى الأعمال بحسنها وسيئها .
- وسنترك خلفنا كل ما ظنناه لنا ، وسوف نرحل .
- لم نجن ثمراً لوفائنا ، فلماذا يا ترى أضعنا عمرنا .
- لقد أضعنا بيت الله من أسف على أوثان الروائح والألوان في الدنيا بلا ثمن .
- نظن نسياننا علماً وفناً ، ومقام الغربة ظنناه وطناً .
- سوف ننفض في النهاية عنا غبار السفر وقد ظنناه بدناً .
- البشر قشة أمام موج الفناء ، ولا حيلة لهم أمام الفناء .
- تعال أخبرك ما هو الموت ، إنه هزيمة الإنسان أمام الله .

وهكذا نجد مثل هذا الأثر كثيراً في دواوين " محروم " المختلفة ، لكنه يظهر بشكل أوضح في رباعياته ، باعتبار أن هذه الموضوعات هي الأنسب دائماً لقالب الرباعي ، ولهذا اقتصرت أمثلتنا هنا على رباعياته .

5 – موقفه من اللغة الأردية :

عانت اللغة الأردية كثيراً بعد زوال الحكم الإسلامي من شبه القارة الهندو باكستانية ، واحتلال بريطانيا للبلاد عام 1857م ، خاصة حين استطاع الإنجليز زرع بذور الفتنة بين المسلمين والهندوس بإقناعهم لغلاة الهندوس بأن اللغة الأردية لغة دخيلة على شبه القارة ، وهي لغة المسلمين الذين هم في الأصل دخلاء على البلاد أيضاً ، ومن هنا فإنه يجب التخلص من اللغة الأردية مثلما تمّ التخلص من الحكم الإسلامي من البلاد ، حتى لا يبقى هناك ما يذكر الهندوس بالفترة التي حكمهم فيها المسلمون ، باعتبار أن اللغة الأردية مظهر من مظاهر هذا الحكم الإسلامي . وعمل غلاة الهندوس قدر استطاعتهم على تنفيذ هذا المخطط الإنجليزي ، فأشاعوا فكرة أن اللغة الأردية دخيلة على البلاد هذه بين الناس ، مما أدى إلى خلق نوع من الكراهية تجاه اللغة الأردية من قبل الهندوس وأصحاب الطوائف الدينية الأخرى ، في الوقت الذي بذل فيه المسلمون جهوداً مضنية للتأكيد على أن اللغة الأردية ليست لغة دخيلة على البلاد ، وإنما هي لغة هندية ولدت من بطن لغة هندية ، ونشأت وترعرعت على أرض هندية

، ولا يزال الصراع مستمراً حتى يومنا هذا ، إلا أن الحقيقة هي أن المعتدلين والمنصفين من الهندوس ، وفي مقدمتهم " تلوك جند محروم " أعلنوا موقفهم بوضوح ، وهو الموقف الذي يتفق مع الحقيقة التي يصر عليها المسلمون ، وهو أن اللغة الأردية ليست لغة دخيلة على البلاد ، وأن محاربتها ، أو تجاهلها يلحق ضرراً كبيراً بالحضارة الهندية ككل ، ولن تقتصر الخسارة على المسلمين فقط كما يتصور غلاة الهندوس ، ومن هنا وجدنا محروم يخصص فصلاً بعنوان " اردو " في مجموعة رباعياته يضم ست عشرة رباعية ، ومنظومة بعنوان " اردو كے حق مين بانج آوازين : خمسة أصوات في حق الأردية " تضم سبع رباعيات ، وفيما يلي بعضا من هذه الرباعيات كنموذج على توافق الرأي بينه وبين المسلمين فيما يتعلق بالأردية :

- لو قضيتم على الأردية هنا ، فلن تجدوا لها أبداً بديلاً .
- وستشتاق الألسنة لحلاوة الأردية " ولن تجدها " ، وستطوعون أفواهكم لكل لغة جديدة ، وهيهات .

**** ****

- لو نفضنا أيدينا عن الأردية سنندم كثيراً ، ولن يجدي ذلك شيئاً .
- ولن يتيسر لنا ذلك الذوق الشعرى الذي منحه إيانا"مير"([1])و"غالب"([2]) .

**** ****

- إنها لغتي ، وأنا شاعرها ، ولساني رطب بمدحها منذ الصغر .
- وبفضل هذه الصحبة التي امتدت عمرا ، فإن لي عليها حق ، ولها عليّ حق أيضاً .

**** ****

- راجت الأردية بين الشعراء ، وظلت تقوم بواجبها في الإدارات .
- والأردية موجودة لتكذيب النكرين " لفضلها " ، فيالبيوت والأسواق والحارات .

**** ****

- الأردية ليست في الأصل عربية ولا فارسية ، لقد ولدت الأردية في هذه البلاد
- وإن قلتم أنها لغة " دهلي " فقط ، فإنكم بذلك تجعلوها محدودة .

**** ****

---

[1] – مير تقي مير من أعظم شعراء الأردية في القرن الثامن عشر الميلادي .

[2] – مرزا أسد الله خان غالب ، أعظم شعراء الغزل الأردي ، وتوفي عام **1869**م .

خاتمة البحث :

يتضح من الدراسة السابقة ما يلي :

1 – كان " تلوك جند محروم " من شعراء الأردية الكبار في القرن العشرين ، وعاصر كبار الشعراء وعلى رأسهم العلامة " محمد إقبال " ، وكان من أشد المعجبين به .

2 – تميزت شخصية " محروم " بالتوازن والاعتدال وحبه للآخرين واحترامهم ، وانعكس ذلك كله في شعره الذي يعد رسالة في التسامح والحب إلى بلد تعج بالطوائف الدينية المتصارعة في بعض الأحيان .

3 – تناول شعر محروم موضوعات عديدة ومتنوعة تعبر عن مختل مناحي الحياة .

4 – كان " محروم " شاعراً واسع الثقافة ، وقد اطلع على الثقافة الإسلامية بحكم اطلاعاته وقراءاته المتنوعة من جانب ، وبحكم الجوار الذي عاشه في قريته مع الأغلبية المسلمة فيها .

5 – تأثر " محروم " كثيراً بالمسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية ، كما تأثر بالإسلام وتاريخه ، وخاصة الفترة التي حكم فيها المسلمون شبه القارة الهندو باكستانية ، وقد خلق هذا في شخصية " محروم " مزيداً من التوازن والاعتدال الذي انعكس في شعره .

6 – كان " محروم " من المنصفين في نظرته إلى اللغة الأردية ، والمعترفين بفضلها ، والمطالبين بحقها في الحياة دون اضطهاد من غير المسلمين في البلاد .

7 – شهد كبار الشعراء والأدباء والنقاد من المسلمين ومن غير المسلمين بجودة شعر " محروم " ، وأنه شعر يدعو إلى المحبة والتسامح واحترام الآخر وأداء حقه .